

ديوان عبيد بن الأبرص بين تحقيقين

بقلم/ د. أحمد عبد الباسط

دار الكتب والوثائق القومية . مصر

هُم ثلاث قاماتٍ في فنّهم: عبيدُ بن الأبرص، والمستعربُ تشارلز ليل، والدكتور حسين نصّار. أمّا الأول فهو عبيدُ بن الأبرص بن حنّتم بن عامر بن مالك، شاعرُ بني أسدٍ بلا مدافع، وأحدُ شعراءِ المُعلّقات، وأحدُ قدماءِ الشعراءِ الجاهليّين، جعله ابنُ سلامٍ الجُمحيُّ في الطبقةِ الرابعةِ من كتابه، وقرّنه بطرفةَ بن العبد، وعديّ بن زيد، وعلقمةَ بن عبدة. كما وصفه بالقدم، وآنه: «عظيمُ الذكْرِ، عظيمُ الشهرةِ»^(١). وذهب أبو الفرج الأصفهانيُّ إلى أنّه «شاعرٌ فحلٌ فصيحٌ من شعراءِ الجاهليّةِ»^(٢).

اتفق الدارسون وجمهورُ النُّقادِ على أنّ قيمةَ شعرِ عبيدٍ تكمنُ من الناحيتين: الفنيّة، والتاريخيّة. أمّا الناحيةُ الفنيّةُ فلاّنه ينتمي إلى المرحلةِ الأولى من الشعرِ الجاهلي، ويُمثّل شعرُه مرحلةَ انتقالٍ بين الشعرِ الباديّ الذي لم تستوِ له القيمُ الفنيّة، وبين الشعرِ الناضجِ الذي نعرّفه. وأمّا الناحيةُ التاريخيّةُ فلاّنه يلقي الضوءَ على كثيرٍ من الأحداثِ التاريخيّةِ الواقعة في شبه الجزيرةِ العربيّةِ في عصره^(٣).

وعلى الرغمِ من ذلك فقد قلَّ استشهادُ النحاةِ واللّغويين بشعره، على عكسِ ما نجدُه عند مُعاصريه من الشعراءِ الجاهليين واستشهاد اللّغويين والنحاة بأشعارهم. ويمكنُ إرجاعُ السببِ في ذلك إلى الاضطرابِ الملحوظِ في شعره، وما شاعَ في بعضه من غموضٍ، فضلاً عن قِلّةِ ما رواه الرواةُ الأولون عنه. ولعلّ ذلك هو ما كانَ يعنيه ابن سلام الجُمحي في قوله عنه: «وشعرُه مضطربٌ ذاهبٌ»^(١)، وهو السببُ الذي جعلَ أبا زيدٍ القرشيّ لم يذكره في الطبقةِ الأولى مع أصحابِ المُعلّقات، وإنّما وضعه في الطبقةِ الثانية، وهم أصحابُ المُجمهراتِ دون المُعلّقات^(٢).

١- محمد بن سلام الجُمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر. جدة: دار المدني، 1980م. ج 1/138.

٢- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، تحقيق: علي السباعي وآخرين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ج 22/81.

٣- انظر تصدير ديوان عبيد بن الأبرص بتحقيق: حسين نصّار. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ط 1. 1957م.

١- انظر: طبقات فحول الشعراء، ج 1/138.

٢- انظر: أبا زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمد البجاوي. القاهرة: دار نهضة مصر، 1981م، ص 347، 379.

ويمكن ملاحظة ذلك الاضطراب — على سبيل المثال — في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

* أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ *

التي أنشأها على وزنٍ نادرٍ غير مألوف آنذاك، وهو (مجزوء البسيط) أو مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ العَرُوضِيُّونَ اسم (مُخْلَعٍ البسيط): مستفعِلن فاعِلن فعولن *** مستفعِلن فاعِلن فعولن. ونظراً لغرابية هذا البحر، وقَدَمِ عهدِ عبيد، وحدانِ سنِّ الشعرِ العربيِّ في عصره، أثر كلُّ ذلك تأثيراً كبيراً في عدم استقامة بحر القصيدة، وكثرة مَا أَصَابَهَا مِنْ زَحَانٍ وَعِلَلٍ، وهذا يُلاحظ بوضوح بدايةً مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ للقصيدة، حتى قيل عنها: إِنَّهَا لَكثْرَةُ مَا دَخَلَهَا مِنَ الزَحَانِ وَالْقَطْعِ كَادَتْ أَلَا تَكُونُ شِعْراً⁽³⁾.

وقد اختلفت الروايات حول البداية الحقيقية لإنشاده الشعر، ودخلتها كثيرٌ مِنَ الخُرَافَاتِ والخَوَارِقِ، وقد نُكِّلَ بِإِيرَادِهَا أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِي فِي أَغَانِيهِ⁽⁴⁾، وَأَشَارَ إِلَيْهَا سَرِيعًا عَمِيدُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ طه حُسَيْن فِي كِتَابِهِ (الشعر الجاهلي)⁽⁵⁾.

فذكر الرواة أَنَّ لَهُ شَيْطَانًا لِلشَّعْرِ اسْمُهُ (هبيد)، هُوَ الَّذِي يُلْهِمُهُ الشَّعْرَ، حَتَّى قَالُوا: (لَوْلَا هَبِيدُ مَا كَانَ عَبِيدُ). بَيْنَمَا ذَكَرَ آخَرُونَ أَنَّهُ أَتَاهُمْ بِأَخْتِهِ مَأْوِيَّةَ مِنْ قَبْلِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. فَلَمَّا سَمِعَ أَتَمَامَ الْمَالِكِيِّ لَهُ رَفَعَ يَدَيْهِ ابْتِهَلًا إِلَى اللَّهِ دَاعِيًا عَلَى مَنْ أَتَمَّهُ بِأَخْتِهِ. فَذَكَرَ أَنَّهُ أَتَاهُ آتٍ فِي الْمَنَامِ بِكُبَّةٍ [الكُبَّة: مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْخِيوطِ وَنَحْوِهَا عَلَى شَكْلِ كُرَّةٍ] مِنْ شِعْرِ حَتَّى أَلْقَاهَا فِي فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قُمْ، فَقَامَ وَهُوَ يَرْجُزُ الشَّعْرَ.

لَكِنَّ الدَّارِسِينَ لِشَعْرِ عَبِيدٍ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَنْشَدَ قَصَائِدَهُ تِلْكَ فِي مَرَحَلَةٍ مَا بَعْدَ الشَّبَابِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ لِلشَّبَابِ الَّذِي قَامَ فِيهِ بِجَلَائِلِ الْأَعْمَالِ، وَإِبْدَاءٍ لآرَائِهِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الْوُجُودِ وَالْمَصِيرِ، وَحَدِيثٍ فِي الْحِكْمِ وَالْوَعظِ وَالْمَوَدَّةِ.

3- انظر: ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: حسين نصار، ص 9.

4- انظر: الأغاني، ج 81/22-82.

5- انظر: طه حسين: في الشعر الجاهلي. تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، 1997م، ص 163.

والقائمة الثانية هو السير تشارلز جيمس ليال (1845 - 1920 م) Lyall, Sir Charles. J

مستعرب إنجليزي، تخرّج في كمبريدج، والتحق بالعمل في إدارة البنغال المدنية وهو في الثانية والعشرين من عمره، وتقلّد بعض المناصب الرفيعة في حكومة الهند حتى انتهى به الأمر أن صار المندوب الرئيسي للولايات المركزية في الهند في الفترة ما بين (1895 - 1898 م). ثم ترك لایل الهند عائداً إلى لندن، حيث عمل سكرتيراً للقسم الهندي

والعمومي في الديوان الهندي بلندن، واستمر في هذا المنصب حتى أُحيل إلى التقاعد عام 1910 م. وفي أثناء عمله في الهند درس اللغة العربية، ولما عاد إلى أوربا تتلمذ على يد المستعرب الألماني الشهير تولدك في جامعة اشترسبورج، والذي أرجع إليه الفضل — كما سنرى — في نشر ديوان عبيد.

وكانت باكورة أعماله في ميدان التراث العربي سلسلة من الترجمات التي نشرها في مجلة الجمعية الملكية الأسبوعية — وقد كان أحد رؤسائها — في السنوات: 1877 م، و1878 م، و1881 م. ثم جمّعها بعد ذلك في كتاب نشر

بلندن عام 1885 م بعنوان: تراجم شعراء العرب والشعر الجاهلي.

Translation of Ancient Arabian Poetry, Chiefly pre-Islamic (London, 1885).

ثم توالى بعد ذلك تحقيقاته المتقنة في مجال النصوص العربية الأدبية، فقام بنشر (شرح المعلقات السبع) للشوقي، ودواوين: عبيد بن الأبرص، وعامر بن الطفيل بشرح الأنباري متناً وترجمةً 1913 م، وديوان عمرو بن قيس (كمبريدج 1919 م)، والمفضليات للمفضل الضبي، وقد عاجلته المنية في أول سبتمبر 1920 ولم يترك وراءه في صورته المطبوعة، فتولّى المستشرق الإنكليزي أنتوني آشلي بيفان Antony Ashley Bevan مراجعة تحلّوب الطبع وخرج بعد وفاة لایل بعدة أشهر.

أما القائمة الثالثة فهو الأستاذ الدكتور حسين محمد نصّار، أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب — جامعة القاهرة. وُلد في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر عام 1925 م، وحصل على درجة (الليسانس) في الآداب من قسم اللغة العربية سنة 1947 م، ثم على درجة الماجستير عام 1949 م في الأدب العربي، برسالة: *موضوعات في الأدب العربي* (مقدمة الكتابة الفنية في الأدب العربي)، ثم درجة الدكتوراه عام 1953 م في المعجم العربي، برسالة: *موضوعات في المعجم العربي: نشأته وتطوره*.

وقد كانت بداية تحقيقه للنصوص التراثية ونشرها بصفة عامة، ودواوين الشعر بصفة خاصة، وهو في المرحلة الرابعة من الكلية؛ حيث قام بتحقيق ديوان (سراقة البارقي) عام 1947 م، ثم توالى التحقيقات العلمية المهمة له في التراث العربي، في الأدب، والتاريخ، واللغة. من ذلك تحقيقه لكل من:

- ديوان ابن وكيع التنيسي، 1953م.
- ديوان جميل بثينة، 1957م.
- ديوان قيس بن ذريح، 1960م.
- ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان، 1969م.
- ديوان ظافر الحداد، 1969م.
- ديوان ابن الرومي (في ستة أجزاء)، 1973-1994م.
- ديوان أبي الصوفي سعيد بن مسلم العماني، 1982م.

* ديوان عبيد بن الأبرص ... قاسم مشترك:

إذا ارتضينا التقسيم القائل بأن المستشرقين ثلاثة ضروب:

- 1- ضرب لم يملك ناصية اللغة، فأخطأ في نشر الكتب وفي فهم النصوص، لكنه حقل بإثبات أمور لا فائدة لنا منها.
 - 2- وضرب أثرت في دراساتهم مآرب السياسة والتعصب للدين، فوجهوا الحقائق وفسروها بما يوافق أغراضهم أو ما يسعون إليه. ولعل هذا الضرب هو الذي دفع الشرقيين من المسلمين العرب أن يرتابوا بالنتائج جميعاً.
 - 3- وضرب ثالث أوتي الكثير من سعة العلم والتمكن من العربية والإخلاص للبحث، والتحرر والاعتدال فكانت دراساتهم مثمرة وأعمالهم مباركة، وكانوا جديرين بكل إجلال⁽¹⁾.
- فإنه يمكننا بكل ارتياح أن نجعل المستعرب الإنجليزي تشارلز لايل واحداً من رجال هذا الضرب الأخوة اتقن العربية وانتحى نحو أشعار الجاهليين بصفة عامة، وأشعار عبيد بن الأبرص بصفة خاصة. دل على ذلك نشره 1885م لكتاب: تراجم شعراء العرب والشعر الجاهلي.
- كما بدأ اهتمامه مبكراً بشعر عبيد عندما تناول بالتحقيق شرح القصائد العشر للتبريزي، ومنها قصيدة عبيد الأبرص (كلكتا 1894م).

وفي عام 1907م اقتنى المتحف البريطاني نسخة خطية نادرة تضم أشعار عبيد بن الأبرص، وعامر بن لؤي وطفيل الغنوي، والطرمّاح. وهي تنتمي إلى بواكير القرن الخامس الهجري، حيث عثر عليها مستر هـ. س. ك.

1- انظر: عبد المجيد دياب: تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره. القاهرة: دار المعارف، ط2، 1993م، ص181.

Mr. H.S. Cowper في بيروت، فعرف لها قيمتها، ونجحت وساطته في حصول أمراء المخطوطات البريطاني لها
وحيازتها، وقد حُفظت به تحت رقم: (2/6771 مخطوطات شرقية).

وقد عكف لایل على تحقيق أشعار كل من: عبيد بن الأبرص، وعامر بن الطفيل، معتمدا على ذلك النسخة
النفسية، ومستعينا بالمصادر التي استطاع أن يحصلها آنذاك.

وقد حاول لایل محاولة مخلص في إخراج ديوان أشعار إخراجا لائقا، باذلا فيه جهدا كبيرا، يدل على ذلك تنوع
للأخطاء الكثيرة الواردة في النسخة الوحيدة، ومحاولته الصادقة في تصحيح ذلك، والإتيان بتعديلات مهمة للنص
المحقق.

واستطاع لایل بالفعل أن يخرج الديوانين معا — عبيد بن الأبرص، وعامر بن الطفيل — لأول مرة مع ترجمته
إنجليزية لهما، بعناية لجنة (جب) في لندن وليدن عام 1913م.

THE DĪWĀNS

OF

‘ABĪD IBN AL-ABRAṢ, OF ASAD,

AND

‘AMIR IBN AT-ṬUFĀIL, OF ‘AMIR IBN ṢAṢA‘AH,

EDITED FOR THE FIRST TIME, FROM THE MS. IN
THE BRITISH MUSEUM,

AND SUPPLIED WITH A TRANSLATION AND NOTES.

BY

SIR CHARLES LYALL.

PRINTED FOR THE TRUSTEES OF THE
"E. J. W. GIBB MEMORIAL"

LEYDEN: E. J. BRILL, IMPRIMERIE ORIENTALE
LONDON: LUZAC & CO., 46, GREAT RUSSELL STREET
1913

بدأ تشارلز لايل عمله الفذ بتصدير للديوانين معاً (ديوان عبيد بن الأبرص، وعامر بن الطفيل) قبل أن ينظر الحديث مفصلاً بمقدمة وافية عن كل ديوان من الديوانين. تحدث في هذا التصدير الموجز عن قصة اقتناء تلك المخطوطة، وما واجهه في تحقيقها من صعوبات، تمثلت أول ما تمثلت في أنه لم يكن من المتاح له أن يقارن بينها نصوص أخرى في أي مكان آخر مقارنة كاملة. ثم ختم كلامه بتوجيه الشكر لكوكبة من المستشرقين كرنكوف، وجاير، وهومل. لكنه خص بالشكر مثله الأعلى المستشرق الألماني (نولدكه)، والذي لم يخل بفحص المخطوطة الأولى للتحقيق ومقارنتها بالمخطوط، بل أصر على مراجعة المخطوطة النهائية عند إعدادها للطبع لذلك لم يكن غريباً أن وجدنا لايل يهدي إلى أستاذه هذا العمل بقوله:

DEDICATED

TO

OUR MASTER

THEODOR NÖLDEKE

IN GRATITUDE AND AFFECTION.

(يُهدى إلى أستاذنا ثيودور نولدكه عرفاً بجميله ومحبة)

وأن يأتي بتعليقات أستاذه نولدكه التي كتبها بالألمانية على بعض أبيات الديوان، دون أن يحاول ترجمتها إلى الإنجليزية

- a) vv. 43 and 44 omitted in MS, entered from Tib.; our MS has a scholion on v. 44.
 b) MS حَبْر (sic). c) A line had apparently fallen out in the original of our MS; the words in brackets have been supplied from Agh. XV. 1881-2.
 d) MS مَرْد. For يدوفيا the MS has مَرْدَا، which I am unable to read.

NOTE BY PROP. NÖLDEKE ON THE METRE OF THE ABOVE POEM.

Die metrischen Anstöße dieses Gedichtes sind meines Erachtens nicht etwa darauf zurückzuführen, dass zu der Zeit des alten Dichters die Metrik überhaupt noch nicht streng durchgeführt worden wäre, denn in den anderen Gedichten 'Abid's, wie sonstiger alter Dichter, herrscht volle metrische Regelmässigkeit. Und gerade die Eigenthümlichkeit, die in diesem Gedichte zunächst befreudet, findet sich auch bei عمرو بن قيس، dem Zeitgenossen des Dichters, in einem Gedichte desselben Metrums (siehe unten).

Diese Eigenthümlichkeit besteht darin, dass der letzte Fuss (namentlich des ersten Halbverses) statt --- (oder gar ---, v. 20), auch --- resp. --- sein darf. (So eben auch bei Imra'ul-Qais 55,10 ---, was freilich durch die Vocalisation ربيع صيف vormieden werden könnte, nur v. 20 und auch 55,5 ---). Der Fuss, welcher das Reimwort enthält, ist fast stets ---, nur v. 20

und auch 55,5 ---). Der Fuss, welcher das Reimwort enthält, ist fast stets ---, nur v. 20 und auch 55,5 ---). Der Fuss, welcher das Reimwort enthält, ist fast stets ---, nur v. 20 und auch 55,5 ---). Der Fuss, welcher das Reimwort enthält, ist fast stets ---, nur v. 20 und auch 55,5 ---).

(Eine ganz ähnliche Freiheit ist im Metrum Kamil gar nicht selten, wo für den letzten hyperkatalektischen Fuss --- manchmal der volle Fuss --- eintritt, z. B., Agh. 15,4, 1 und 3; Umar b. Abi Rabi'a [Schwarz] 97, 2, 12f; 39, 1, 13; 106, 5f; 109,9; 200, 7, und sonst bei Dichtern; auf Wunsch kann ich mehr Fälle geben).

Ich möchte annehmen, dass unser Gedicht ursprünglich weiter keine metrischen Lizenzen auf-

ثم أتى لايل بعد هذا التصدير بقائمة اختصارات المراجع التي اعتمدها (وتقع في ثلاث صفحات)، وهي كانت تنمُّ فإنها تنمُّ على سعة اطلاعه ودرايته الكاملة لعيون التراث العربي.

بعد ذلك قدّم لايل لديوان عبيد بن الأبرص بمقدمة وافية (وتقع في خمس عشرة صفحة)، كانت مثار إعجاب الدارسين بعد ذلك؛ حتى إنهم عدّوها وحدها دراسة تاريخية فنية مُستقلة عن عبيد بن الأبرص، وفيها الموضوعات التالية:

- أ- عبيد بن الأبرص وقبيلته بنو أسد في ظل ولاية أمير كندة حُجر بن الحارث الكندي، والد امرئ القيس، والروايات المختلفة حول مقتله وترجيح بعضها على بعض.
- ب- طلب امرئ القيس الأخذ بثأر والده من بني أسد، وعلاقته بعبيد بن الأبرص.
- ج- حياة عبيد بن الأبرص، ومكانته الشعرية.
- د- الحديث عن أول من جمع أشعار عبيد بن الأبرص، والقول في قضية انتقال الشعر، وسرد أسباب الجزم بصحة كل ما نسب لعبيد من أشعار.
- هـ- استنتاجات حول النسخة الخطية الوحيدة للديوان، وبعض السمات المميزة لها.
- و- قائمة بالألفاظ الدارجة في شعر عبيد، والحديث عن أسلوبه الشعري.
- وكل هذه الموضوعات من الأهمية بمكان، غير أنني سأتوقف عند نقطة بعينها، وهو حديثه عن النسخة الخطية وما استنتجته خلالها من استنتاجات:

- فقد ذكر لایل في المقدمة أن نسخة المتحف البريطاني تلك — والتي أشار قبل ذلك إلى قصة اقتنائها في صدره للديوانين — سقيمة كثيرة الأخطاء، يظهر ذلك من خلال مقارنتها مع غيرها من المختارات الأدبية.
- ذكر أنها كتبت قرب عام 430هـ؛ استناداً إلى حرد المتن الموجود في آخر ديوان عامر بن الطفيل، علماً بأن النسخة الخطية تضم أربعة دواوين شعرية، هي: ديوان عبيد بن الأبرص، وعامر بن الطفيل، وطفيل الغنوي، والفرماح.

- قرر أن النسخة كتبت بقلم مغربي، وأنها استُنسخت — أيضاً — من أصل مغربي؛ بسبب ما لاحظ فيه من تحريفات ناجمة عن شكل القلم المغربي، كما يتضح في التحريف التالي: (واستكل عنهن) بدلاً من: (استنقل نهن)، فمن الممكن الخلط بين (ظ) عند جرّ مركزها إلى الخلف — كما في الخط المغربي — بحرف (ك).

- استنتج — أيضاً — أن تلك النسخة المغربية تملكها بعد ذلك أحد المشارقة؛ حيث وصلت إليه هذه النسخة بهذه النقطة فاضاف إليها النقطة بطريقة المشارقة، غير أنه وقع — على حدّ قوله — في خلط غير عادي.
- والشعر لایل خطورة اعتماد المحقق في تحقيقه على نسخة خطية وحيدة، وهو ما قرره شوامخ المحققين العرب بعد ذلك بعشرات السنين، من أنه لا يجوز لشدة المحققين الاعتماد على نسخة خطية وحيدة لإخراج النص.
- لكنه استطاع عن طريق عرض أبيات الديوان على المصادر الأخرى أن يستخلص معظمها من تلك المصادر، بفارق ما ورد بها وما هو مذكور في تلك النسخة السقيمة. يحدثنا عن منهجه في ذلك قائلاً: «وكان من الخطر كل الخطر أن اشتغل على خطوط وحيد كهذا، محاولاً تحقيق النص وإقامته، لولا وجود قدر كبير من الفصائد التي يضمها الديوان في مراجع أخرى. فيذكر ما لا يقل عن 23 قصيدة من الفصائد الأربع والعشرين الموجودة في المخطوط،

كاملة أو مقطوعات منها، في كتب أخرى. وتضم الفصائد 462 بيتاً، يوجد منها في المواضع 279، فلا يُشرك في
عوني تحت رحمة المخطوط إلا في 183 بيتاً⁽¹⁾.

ولقد اختلف تشارلز لايل في عمله هذا ما كان يدور في ذهني من ظنون، حول ما درج عليه كثير
المستعربين، واعتمادهم بشكل رئيسي على المقابلة بين النسخ وبعضها البعض مقابلة تدعو إلى ملل القارئ،
الهامش بما لا يلزم. لذلك قرأته قد أثار كتابة التعليقات المهمة التي تعود بالنفع والإفادة لدى القارئ، يقول: «ولم أر
عند الطبع — من الضروري الإشارة إلى التغييرات النافذة التي أجريتها في المخطوط، مثل وضع النقط الناقصة
تصحيح الأخطاء الواضحة التي وقع فيها المالك الثاني عند وضعه إياها؛ فلو أُشير إلى كل تغيير من هذا
لتضخمت التعليقات تضخمًا غير محتمل؛ ولكنني اعتقد أنني قد أبنت جميع الاختلافات الهامة بين النص الذي
والمخطوط»⁽²⁾.

وأراد لايل أن يُشرك القارئ معه في معاناته لهذه النسخة الخطية، فأتى في نهاية تحقيقه للديوان — وقبل
والملاحق — بأربعة نماذج مصورة منها مثلت الورقات الأخيرة من الديوان:

1- مقدمة لايل للديوان عبد بن الأبرص، بتحقيق: حسين محمد نصار، القاهرة: مطبعة الحلبي، ط 1، 1957م، ص 21

1- مقدمة لايل للديوان عبد بن الأبرص، بتحقيق: حسين محمد نصار، ص 21.

(188)

أخرا بحبك حمة ربه الزمان فاستهوى ولا يسوء
 والماء حواء الكرب والعماء براهم الشاليت لانهما
 والعاقلوا الفصل العناد كمينهم والمفول لم يخلت ولا
 والعالضكوا معشر منسهم وموسهم واكثر من الناس مكره والعداء
 مروا اللهما وسعوا العمدان عفووا اذ اصاع من الماء وموسهم
 رجع اذ حصر البنادي حلوهم وموسهم وفيهم الزعف والخطي
 والبشرقة معاولا صوارها يوم الفناء وادب الندي بسبيل
 لا يحسبون عياسها وكفر ما اذا فاني اظنهم مسعر مسير
 وقال عبيد بن الأبرص

أدلت لظهور في نقاص في مملأة عبيد
 الواقع دلي بالها معشر يتبع الماء من خلال الخشب
 حباب ذات البحر مكفهر يوح الارض كرا اذا الفتح
 تالف ما استوى طبعها اذا ما كرا حبلاد ووتنقية مشهور
 كابل مطلق الحرات داج فبهم أو ككر دية بسير
 كان تفسير الانوار فيه اذ اما الصل عزهم طمطم
 وكأخ بها تفسير واعجاب برين صباع الحضور الهند
 سئل الشعر اذ هل الشجوا كنيسة بخور الشعر او غاصوا مفاصل
 لسائر القريض والقوافي وبلاشعار مهور في العصور
 من الحبوب الزينة في لبح بخور جريد السنج في الليح العنصر
 اذ اما باض لاج بصعق فيه وبصر في المكر وفي العصور
 تلات في المداص ملاوصاب له ملصا واخر بالمشهور
 اذ اقبضت عليه الشفق حينا تلتاع من تحتها اذ انه صا
 وباص ولا ص من ملص ملاص وبعثت البحر البود

عبد الله بن عبيد بن الأبرص بن الحارث بن العاص بن
 امرئ القيس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة
 بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نضلة بن
 معد بن عدنان بن أدد بن نوح بن لاخمر السرجاء لا
 أعرف من غير هذا النسب ولا أعرف من غير هذا النسب
 وأكرم وأزهد وأصون عري وأكرم وأزهد وأصون عري
 إذا ما كنت كحماة حبل لا سو ولا للمطامع ذابح
 يراد الموابض من عقاب وعند الباب انقل من رصاص
 نكاح النواصير منطوق وقال هليلج وهو اللبب من حمار
 بوسط ان يراى له عذو ولعذوة من طاهر أو ينسب
 إذا ما كان عري عند بطنه فابن من أسب به منسب
 فان خفت لجوع البطن جاف قد والله رجل بالمع
 وقال عبيد بن الأبرص

يا صاح مقلاً أقل العذر يا صاح ولا تكوّن لي يا الله
 جافيت بالله ان الله ذو ونعم من نعمته وذو عقوب
 ما الظرف في ان ما لست املكه مما تبتلي به يا صاح
 ولا جالس صبا حيا لحادته حزن العو فها جدى نصباح
 اذا انكرو فادارتها اكنتم صرقتا تدار يا كوايسر واقسراج
 في كبح الجفول الشمس شيمته واتق ذاك انما والعلو بالراح
 ولا تبار في ما عشت ذو وهيب بذكر التهلل جوا صغير ملوح
 او مهيمة من عتاق الخيل سلحة كأنها فتوى بود بيرار مسلح
 ومهية مقفرا الاعلام بجرد يابى الناهل حرب القراع منسراج
 لخير به بعلمه انما مذكرة كالعبر بواراة الضبي من مزاج
 وقد نسجت مثل الرسم الشبه رويد الشهاب كوا اذا ان او طاح
 ترفي الصبح اذا يشتتوا وتخصر في العبد المدين بكتاب السلام

حاروسا ناهداة التثنية كسم بهيدندرج وثقست
 حازسمة في كل اجية حيزا ام دهم صوة مصوح
 لة وحدثوا حلت مايدى لم تتمد النال بعد الموت
 اشرة التلاوة تتمد الجار ابدله حتى اصير زميها تحت السواح
 بعد المرح او شدة حمة في قفرو مظلمة الارجلو مظالم
 او صرح في رومة في راس رانية او في قرار من الارضين قرواح
 كمر مرفنا مثل عمن التناز في كرم محكم الضربة صلت الجروم
 فارقه غير قل في له بالقال اصبح في ملحودة حياح
 هل نحن الا حجاباد لم يها تحت التبريز وارواح كادواح

مرسوم عبيد بن الأبرص بخمير الله ومونه
 وفضل الله على محمد وآله وصحبه

وتنتهي هذه النماذج بالصفحة رقم (69)؛ لبدأ لآيل فيها أسماء (الذيل) — الذي ضم ست قصائد — حيث صرح في الهامش الأول لهذا الذيل أن ثمة ثلثة (lacuna) بالنص بين القصيدة العاشرة والحادية عشرة، تُقدّر بورقة على الأقل أو أكثر، وأنها أعمال تقريباً المساحة التي يشغلها هذا الذيل. ثم ابتداء في الصفحة رقم (81) بملحق ضم فيه سبع عشرة مقالة شعرية تُنسب إلى عبيد بن الأبرص وليست موجودة في الديوان، منوهاً باسم كل مصدر استقى منه هذه المقالات.

* الدكتور حسين نصار ونشره لديوان عبيد بن الأبرص:

أعجب الأستاذ الدكتور حسين نصار بتحقيق تشارلز لآيل لديوان عبيد بن الأبرص، وشهد له بما بذله من جهد واضح في مقدمته الضافية للديوان، وتحقيقه له اعتماداً على النسخة الوحيدة التي وصلت إلينا من الديوان. فما كان منه إلا أن قام أولاً بترجمة تلك المقدمة الوافية للديوان ليقدمها هدية إلى المعنيين. ثم إنه اطلع بعد ذلك على أشعار أخرى لعبيد أوردها ابن ميمون في كتابه (منتهى الطلب من أشعار العرب)، ولم ترد في النسخة الخطية التي اعتمدها لآيل، ولم يكن كتاب ابن ميمون من المراجع التي وقع عليها لآيل أثناء تحقيقه للديوان. فكان هذا دافعاً له لإعادة نشر ديوان عبيد مرة أخرى، فضلاً عن صعوبة العثور على نسخة لآيل للديوان. يقول الدكتور حسين نصار في تصديره للديوان: «وإذ وجدت هذه المجموعة [أي: مجموعة الأشعار الموحدة بمنتهى الطلب] تُصحح كثيراً من شعر عبيد، وتزودنا بروايات جديدة، بالإضافة إلى ما تمدنا به المراجع الأخرى، وجدّني مسوقاً إلى إخراج شعر عبيد... وشحذ همّتي إلى ذلك عدم طبع شعر عبيد في مصر وغيرها من البلاد العربية من قبل، وعجز الباحثين عن الحصول على طبعة لآيل»⁽¹⁾.

وقد صدر ديوان عبيد في نسخته العربية لأول مرة عام 1957م، عن مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، في (178 صفحة) من القطع المتوسط، وعلى غلافه ما نصه:

[ديوانُ عبيد بن الأبرص تحقيق وشرح دكتور حسين نصّار]

ديوان عبيد بن الأبرص

تحقيق وشرح

دكتور حسين نصّار

طبعة الأولى: ١٩٨٥ - دار الفكر - بيروت

الطبعة الأولى

(مجلد اول - طبع و نشر)

مكتبة جامعة دمشق - دمشق

لكن المنهج المتبع في نشر هذا الديوان يبدو متناقضاً مع ما هو مقررّ على صفحة الغلاف، أعني كلمة (تحقيق)؛ فالتحقيق يعني الوصول بالنصّ المخطوط إلى أقرب صورة أرادها كاتبه، دون تحسين أو تصويب أو تقديم أو تأخير، أو إعادة ترتيب. وهذا ما خالفه أستاذنا الدكتور حسين نصّار في هذا العمل؛ حيث ذكر في تصدير الديوان أنّه أعاد ترتيب قصائد الديوان دون الالتزام بترتيب النسخة الخطيّة. يقول: «وهجّت في عملي على ترتيب القصائد على قوافيها، دون تقيّد بترتيب طبعة ليال أو طول القصائد»⁽¹⁾.

كما أنّ التحقيق بمعناه الاصطلاحيّ يلزم المحقّق عدم إضافة شرح للنصّ أو تعليق عليه في المتن، وإنّما مثل هذه الإضاءات تكون في الهامش. وهذا أيضاً ما لم يفعله أستاذنا؛ حيث صدرّ القصائد الكبيرة بما أسماه (جو النصّ)؛ مستفيداً ممّا قام به لایل بالإنجليزية من تعريف للقصائد نفسها قبل ترجمتها. يقول الدكتور حسين نصّار: «وصدّرت القصائد الكبيرة بكلمة أطلقت عليها (جو القصيدة)، وذكرت فيها أسباب نظم القصيدة إن كانت قد وصلت إلينا، وتحليلاً لموضوعاتها. وقد أخذت هذه الكلمات ممّا صدر به المحقّق المستشرق ترجمته لقصائد عبيد؛ فقد ترجم قصائد الديوان كلّها، وقدم بين يديها مثل هذه الكلمات»⁽²⁾.

ولم يحصل الأستاذ الدكتور حسين نصّار النسخة الخطيّة الوحيدة التي اعتمدها لایل في إخراج الديوان، وإنّما اكتفى بقراءة لایل للنسخة، واتخذ قراءته أصلاً له دون الرجوع إلى المخطوط، يقول: «وجدتني مسوقاً إلى إخراج شعر عبيد، باتخاذ ديوانه من تحقيق (ليال) أصلاً لي».

كذلك لم يقدّم الأستاذ الدكتور حسين نصّار بوضع مقدّمة لأشعار عبيد، وإنّما اكتفى بتصدير وقع في ورقة واحدة فقط، ثمّ أعقب ذلك بترجمة مقدّمة لایل للديوان، ولم يضيف إليها حرفاً واحداً. قال: «ولهذه الأهمية التي تتصف بها مقدّمة ليال، ولإعجابي بها كما أسلفت، رأيت أن آتي بها هنا كاملة دون اختصار»⁽³⁾.

ولكي يتضح لنا ما قام أستاذنا الدكتور حسين نصّار من جهد، يمكن لنا أن نسمّيه جمعاً وليس تحقيقاً — ينبغي علينا أن نعلم أولاً أن إجمالي عدد الأبيات الشعرية في نشرة لایل (ديواناً، وذيلًا، وملحقًا) بلغ 637 بيتًا، كان توزيعها كالآتي:

عدد أبيات المتن دون الذيل والملحق = 464 بيتًا.

عدد أبيات الذيل فقط = 114 بيتًا.

عدد أبيات الملحق فقط = 59 بيتًا.

1- ديوان عبيد، ص 6.

2- السابق، نفسه.

3- السابق، نفسه.

لكن الدكتور حسين نصار لم يفرق في نشرته بين ما هو في صلب المتن، وما هو في الذيل أو الملحق، حيث يمكن ملتزمًا — كما أسلفنا — بترتيب النسخة الخطية التي اعتمدها لایل أصلًا له. وقد بلغ إجمالي عدد الأبيات عند 658 بيتًا، أي: زيادة 21 بيتًا عن نشرة لایل، وهذه الزيادة تمثلت في:

أ- زيادة (5) أبيات في معلقته الشهيرة، التي أولها:

أفقر من أهله ملحوب فالحطببات فالذنوب

وهي الأبيات رقم: 20، 25، 26، 28، 49 في نشرة الدكتور حسين نصار.

ب- زيادة (4) أبيات في قصيدته التي أولها:

ليس رسم على الدفين بيالي فلوى ذروة فحنني أنال

وهي الأبيات رقم: 36، 37، 38، 39 في نشرة الدكتور حسين نصار.

ج- زيادة بيت واحد في قصيدته التي أولها:

لمن الديار بصاحه فحروس درست من الإقفار أي دروس

وهو البيت رقم: 20 في نشرة الدكتور حسين نصار.

د- زيادة بيتين في قصيدته التي أولها:

تحاول رسنا من سليمى دكادكا خلأ ثغفيه الرياح سواها

وهما البيتان رقم: 9، 10 في نشرة الدكتور حسين نصار.

هـ- زيادة (4) أبيات في قصيدته التي أولها:

طاف الخيال علينا ليلة الوادي من أم عمرو، ولم يلهم ليغفر

وهي الأبيات رقم: 6، 7، 13، 10 في نشرة الدكتور حسين نصار.

و- زيادة بيت واحد في قصيدته التي أولها:

أمن رسوم ثوبها ناكل ومن ديار دمعك المائل

وهو البيت رقم: 3 في نشرة الدكتور حسين نصار.

ز- زيادة بيت واحد في قصيدته التي أولها:

هبت تلوم وليست ساعة اللاحى هلا انتظرت بهذا اللوم إصباحي

وهو البيت رقم: 8 في نشرة الدكتور حسين نصار.

ح- زيادة بيت واحد على البيت الذي ذكره راوي الديوان قبل سرد أشعار عبيد؛ حيث جاء في نشرة لایل:

أفهم من أهله عبيد فليس يبيدي ولا يُعبد

فراود في بشرة الدكتور حسين نصار بعد هذا البيت بيتاً آخر يليه، هو:

عشت له منية نكود وخان منها له وروود

هذا البيت يرد على مقطوعة مكونة من أربعة أبيات، ذكرها راوي الديوان قبل سرد أشعار عبيد، في ثنايا سرد ما رواه عن عبيد والله أعلم من ماء السماء من حوار، والتي تبدأ بقوله:

والله إني ميت ما ضرتني وإن عشت ما عشت في واجله

فراود في بشرة الدكتور حسين نصار البيتين رقم: 1، 4.

وبالمصادفة ما أضافه الدكتور حسين نصار في نشرته من أبيات لم تكن موجودة في نشرة لابل، فتحة مزيتان في تلك النشرة أو خطأ حلوها من تلك الأخطاء التي وقع فيها تشارلز لابل أثناء تحقيقه، أو تلكم الأخطاء المطبعية التي سكرت في النشرة الإنجليزية.

والترجمة الأخرى تمثل في ذلك التدقيق الشعري لأبيات عبيد من قبل الدكتور حسين نصار، ورأيه في ترجيح رواية على أخرى وهو ما لم يتوافر في نشرة لابل.

سلسلة ذخائر التراث العربي من تحقيق المستشرقين:

يجي تحت كرتها الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف، أستاذ الدراسات اللغوية بكلية الألسن — جامعة عين شمس، يركز تحت التراث، بدار الكتب المصرية. وتهدف — كما هو مفهوم من عنوانها — إلى إعادة نشر تحقيقات المستشرقين، مع ترجمة تعليقاتهم إلى العربية.

ولم تكتب لها الاستمرار في هذه المهمة النبيلة، ووصلنا من خلالها عملين وحيدتين فقط صدرتا عن دار الكتب عام 2003، هما: ديوان عبيد بن الأبرص، وديوان عامر بن الطفيل، بتحقيق تشارلز لابل، كل منهما في مجلد.

لقد فيها بعض عمالها في إخراج ديوان عبيد، فإنه تمثل في الآتي:

في تقديم للنشرة العربية للديوان: وقد قام به الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف، ويقع في 4 صفحات (ص 7 -

في ترجمة نصيب لابل للديوانين: قامت بالترجمة الدكتور سهر محفوظ، الأستاذ بكلية الألسن — جامعة عين شمس،

في تقديم للنشرة العربية للديوانين: (ص 11-12)،

في ترجمة الأبيات نفسها مقدمة لابل لديوان عبيد بن الأبرص، وتقع في 22 صفحة (ص 13-34).

في ترجمة الأبيات نفسها مقدمة لابل لديوان عبيد بن الأبرص، وتقع في 22 صفحة (ص 13-34).

5 - ترجمة الفهارس الأربعة التي وضعها لایل للديوان: (القوافي، وأسماء الأعلام، الكلمات المختارة، النظم الجغرافية).

6- ترجمة قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها لایل.

7- إرفاق نص الترجمة لديوان عبيد، والتي قام بها لایل.

هذا كل ما قامت به اللجنة من جهد يُحسب في أغلبه لها لولا بعض الهنات التي وقعت فيها، والتي تمثل في إغفال قائمة التصويبات؛ فقد نبّه تشارلز لایل في تصدير الديوان إلى ضرورة الرجوع إلى قائمة التصويبات والإضافات (ص 129 - 134) لتصحيح الأخطاء الواردة بالمتن.

The Editor begs those who may peruse the volume to turn first to the list of *Emendanda et Addenda* at pp. 129-134, and to make the corrections and note the additions there indicated before using the book.

«يوجه المحقق عناية القارئ عند الشروع في قراءة هذا الكتاب أن يُطالع أولاً قائمة التصويبات والإضافات، من ص 129 إلى ص 134؛ ليصحح بها ما قد يُصادفه من أخطاء طباعية»

وقد كان من المتوقع أن تتلافى اللجنة هذه الأخطاء الطباعية وتثبت هذه التصويبات في مكانها الطبيعي من النص. ولدينا من إمكانيات العصر ما يؤهلنا لذلك. أو كان من المتوقع أن تأتي بقائمة التصويبات في نهاية الكتاب كما فعل لایل في نشرته. لكن هذا لم يحدث؛ حيث ارتضت اللجنة أن تكتفي بالكلام الإجمالي بترجمة التعليقات الموجودة في الهامش، دون إعادة كتابة النص المحقق وتصويب الأخطاء الواردة فيه، ولم تأت بقائمة التصويبات في نهاية النص. والوقت نفسه بقائمة التصويبات كما فعل لایل^(٦)!!

1- هذا بالإضافة إلى مجموعة من الأشياء ربما تختلف وجهة الأنظار فيها، مثل: اكتفاءها بالترجمة الحرفية لبعض الألفاظ، دون التوقف عند المعنى الصحيح لما ورد في نشرة لایل من أوهام. وعدم ذكرها لقائمة الاختصارات التي أتى بها لایل في بعض تصدير الأدباء، وسجلها في الحاشية التحليلية (وقد أسموها بالفهارس)؛ حيث ذكرت أن كلمات القوافي قد رُتبت أبجدياً، والناظر إليها يجد أنها قد رُتبت أبجدياً، وأنشوراً وتكوناً. مضت في ترجمة المقدمة الفنية للديوان، والتي قام بترجمتها ترجمة متقنة الدكتور حسين نصار في مطلع نشرته (الديوان).